**الحياد في زمن الحرب: سويسرا مثلاً**

03-08-2022 | 00:00 **المصدر**: "النهار"

**تشير إلى الحدود السويسرية الإيطالية (أ ف ب).**

**جنيف - الدكتور وليد عبلا**

إن كان بإمكان الدولة المحايدة أن تتمسّك بحيادها وأن تفرضه في تعاملها مع الدول الأخرى في زمن السلم فإن الحفاظ على الحياد يصبح أكثر دقة وتعقيداً في زمن [#الحرب](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%b1%d8%a8)، خاصة إن كانت الحرب على تخوم الدولة المحايدة أو في نطاقها الجيوسياسي أو تربطها مع إحدى الدول المتحاربة مصالح حيوية. هذه هي حال ثلاث دول أوروبية محايدة إثر الحرب الروسية/الأوكرانية، هي فنلندا والسويد و[#سويسرا](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%b3%d9%88%d9%8a%d8%b3%d8%b1%d8%a7).

فما إن نشبت الحرب المذكورة حتى سارعت كل من فنلندا والسويد إلى طلب الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي تحسباً لأيّ خطر قد يهدّدها في المستقبل من [#روسيا](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%b1%d9%88%d8%b3%d9%8a%d8%a7) أو غيرها، متخلية بذلك عن حيادها. ومن المعلوم أن بين فنلندا وروسيا حدوداً مشتركة بطول 1340 كيلومتراً، وقد سبق لها أن تعرّضت من جارها الاتحاد السوفياتي لاجتياحين: الأول بين 1939 و1940، واستولى الاتحاد السوفياتي على جزء من أراضيها. والثاني في 1941 بسبب تحالفها مع ألمانيا النازية. أمّا السويد فليس لها حدود برية مشتركة مع روسيا ولم تتعرّض لأيّ اعتداء خلال الحربين العالميتين. إلا أن تركيا وضعت فيتو على انضمامهما إلى الحلف الأطلسي بحجة أن هذين البلدين يتعاطفان مع "حزب العمال الكردستاني" الذي تعتبره حزباً إرهابياً. واشترط الرئيس أردوغان لرفع الفيتو أن تعلنا أن الحزب المذكور إرهابي ويطردا عناصره من أراضيهما، فوافقتا على هذا الشرط. أما سويسرا، فقد أعلنت تمسّكها التام بحيادها. ولكن، قام جدل واسع بين الأحزاب السياسية السويسرية حول الموقف الذي على سويسرا أن تنتهجه لئلا تخرج عن الحياد. وأودّ بالمناسبة أن ألفت نظر المطالبين بحياد لبنان إلى أن الحياد لا يتحقق ولا ينجح إلا بتوفر شرطين معاً. الأول، هو أن يكون عليه توافق داخلي تام. والثاني، هو أن توافق عليه الدول المحيطة بالدولة المحايدة وتتعهّد باحترامه. فهل هذان الشرطان متوفران للبنان حالياً؟!

أعلنت سويسرا حيادها إبان مؤتمر فيينا (1814-1815)، ووافقت عليه الدول الحليفة المنتصرة على الإمبراطور نابوليون الأول، وتكرّس هذا الحياد في معاهدة باريس التي وُقعت في ختام أعمال المؤتمر المذكور. وجاءت اتفاقية فرساي (1919) لتنصّ على حياد سويسرا وتؤكده. وهذا ما يميّز الحياد السويسري: فهو ليس حياداً معلناً من جانب واحد فقط بل معترف به بموجب معاهدات دولية. وعندما أنشئت عصبة الأمم (Société des Nations)، ومقرّها في جنيف، أعلنت هذه الأخيرة (في 13 شباط 1920) أن حياد سويسرا لا يتعارض مع ميثاق العصبة، ووافق الشعب على انضمام سويسرا إلى المنظمة في 16 أيار 1920.

لم تتعرض سويسرا خلال الحربين العالمتين الأولى والثانية لأيّ اعتداء عسكري من أيّ نوع كان. ولكنها اتخذت التدابير العسكرية اللازمة وأعلنت التعبئة العامة. والواقع أن هتلر لم يشأ أن يجتاح سويسرا ليس احتراماً منه لحيادها، بل لأنه كان في حاجة إلى المصارف السويسرية ليشتري بواسطتها ما تحتاج إليه بلاده من سلع على أنواعها.

مع وقوع الحرب الروسية/الأوكرانية، التي أحدثت صدمة في الرأي العام الأوروبي، انقسمت الأحزاب السويسرية حول الموقف الواجب اتخاذه حيالها. فالأحزاب اليمينية تصر على أن تتمسك سويسرا بحيادها بصرامة في نزاع هو بين دولتين أوروبيتين، وتأخذ على الحكومة الفيديرالية موافقتها على العقوبات التي اتخذها الاتحاد الأوروبي ضد روسيا (سويسرا ليست عضواً في الاتحاد). أما الأحزاب اليسارية فقد أيّدت العقوبات ضد روسيا، وهي تقف صراحة إلى جانب [#أوكرانيا](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%a3%d9%88%d9%83%d8%b1%d8%a7%d9%86%d9%8a%d8%a7) إذ اعتبرت أن هذه الأخيرة تعرّضت لاعتداء عسكري و"أن الحياد لا يعني اللامبالاة حيال انتهاك القانون الدولي". أما الإعلام السويسري فهو يؤيد أوكرانيا علناً. وما زاد الانقسام الداخلي حدة وقوع حدثين لهما تأثير مباشر على مفهوم الحياد.

الأول، "مؤتمر إعادة إعمار أوكرانيا" الذي انعقد في مدينة لوغانو السويسرية في 4 و5 تموز (2022) وحضرته أربعون دولة وعدد من المنظمات غير الحكومية، ووفد أوكراني كبير برئاسة رئيس الحكومة. وتقدر نفقات إعادة إعمار أوكرانيا حتى الآن بمبلغ 750 مليار يورو. فقد انتقدت الأحزاب اليمينية هذا المؤتمر لعدة أسباب منها أنه لمصلحة دولة واحدة من طرفَي النزاع، وأن الدولة الثانية (روسيا) لن تحضره، ثم ما الفائدة من هذا المؤتمر والحرب ما زالت مستمرة؟ وكان رد الحكومة الفيديرالية: إن المؤتمر كان مقرراً قبل وقوع الحرب بمدة طويلة، وهدفه إنساني بحت هو "مساعدة دولة"، وليس موجهاً ضد روسيا، ولن يناقش قضايا عسكرية. وأضافت: إن سويسرا حافظت على حيادها بامتناعها عن تزويد الدولتين المتحاربتين بالأسلحة أو المعدات العسكرية.

أما الحدث الثاني الذي أثار جدلاً فهو انتخاب سويسرا عضواً في مجلس الأمن في 9 حزيران المنصرم لمدة سنتين ابتداءً من العام المقبل. وكانت سويسرا قد انضمّت إلى منظمة الأمم المتحدة في عام 2002. فرأى المتمسكون بالمفهوم المتشدد للحياد أن انتساب سويسرا إلى مجلس الأمن يعرّض حيادها للخطر ويفقدها دورها كوسيط دولي محايد. ورد مؤيدو دخول سويسرا إلى مجلس الأمن: إن هذه العضوية تمكنها من الدفاع عن سياستها الخارجية ومصالحها بشكل أفضل، وتجعلها تهتم بقضايا العالم بأسره لا بقضايا الدول الأوروبية وحدها.
لقد تطور مفهوم الحياد في سويسرا في السنوات الأخيرة من الحياد بالمعنى "الضيّق" إلى "الحياد الإيجابي"، فإلى "الحياد التعاوني" المنفتح على مشاكل العالم. وهذا المفهوم الأخير طرحه وزير الخارجية السويسري انيازو كازيس، وهو رئيس الدولة للعام الحالي، خلال انعقاد مؤتمر لوغانو المذكور.

لقد أثارت الحرب الروسية/الأوكرانية انقساماً حاداً في سويسرا ما لبث أن هدأ، لأن الشعب فيها واعٍ، والأحزاب راقية، والديموقراطية راسخة، والحكّام موضع ثقة. أما في لبنان فلا شيء عندنا من هذا. فكيف سينجح الحياد؟!